

# الرواية والدراما والقصائد تمنح القاهرة ملمحاً آخر في رمضان

## العامية تتفوق على الفصحى في تصوير طقوس شهر الصيام



الفنون تجسد روحانية شهر رمضان

المهمشين في العهد المملوكي، وتحولت الرواية كذلك إلى دراما رمضان صلت الحاضر بالماضي، شأنها شأن ثلاثية محفوظ التي عرضت تلفزيونياً في شهر الصيام. وانطلاقاً من هذه النافذة الدرامية التي فتحتها أعمال محفوظ والغيثاني المصوّرة لجوانب الحياة في القاهرة التاريخية، بخصوصياتها الرمضانية الحاشدة، مضى الكثيرون من كتاب الدراما التلفزيونية، الرمضانية على وجه الخصوص، على النهج ذاته. وفي هذا النهج توالى الأعمال ذاتها الصبغت، من قبيل "بوابة المتولي" عن قصة أسامة أنور عكاشة وسيناريو وحوار محمد حلمي هلال، و"أرابيسك" لعكاشة أيضاً وفتش من خلال هذا العمل عن جينات الشخصية المصرية ومحدداتها عبر العصور، و"بوابة الحلواني" لمحمود عبد الرحمن، و"علي الزينق" لسري الجندى، وهي أعمال جادة، تعد بمثابة مرآة أمينة لرمضان؛ شهر الناس والتفاصيل والحياة في مصر المحروسة، القديمة/المتجددة.

والناس والأحداث في هذه المناطق المتميزة التي "يدل عتقها على السؤدد والجاه"، بحد قول نجيب محفوظ في روايته "السكينة"، فلا ينقطع فيها تيار الحياة أبداً، ويصل إلى نورة صخبه واشتعاله في نهارات رمضان وأسمياته، مثلما التقط محفوظ وأسهب على نحو تفصيلي في روايته "خان الخليلي"، مبرراً معالم الحياة الصاخبة هناك التي لا يعرف المرء متى يبدأ صباحها، ومتى ينتهي ليلاً. وتتبع صدائياً روايات محفوظ والغيثاني من أنها لم تكن أعمالاً ذهنية معرفية، بقدر ما كانت نهلاً من معين الواقع الفعلي الذي خبره الأدبيان، إذ عاشوا في طفولتهما وصباحهما في حي الجمالية وتشكلت حواسهما وملكاتهما في رحاب حلقات الإنشاء والذكر ومجالس الإبتهالات والتصرف، وفتحت مداركهما منذ الصغر على الروح الشعبية ويوميات الصناعات والحرفيين. ومثلما عني محفوظ بالتاريخ الشعبي للعاديين والبسطاء، فقد تلمس الغيثاني في "الزيني بركات" حياة

والأمكنة الشعبية العريقة، خصوصاً شوارع القاهرة الفاطمية وأزقتها وحواريها ومساجدها وأثارها، كما في الحسين والأزهر وخان الخليلي وشارع المعز وبوابة المتولي وغيرها، التي لا يزال لرمضان في كنفها نكهة مختلفة. تتكثرت هذه الأعمال الأدبية والفنية من أسطورة الزمان والمكان معاً من أجل السمو بما هو حقيقي فوق حدود المنطق، وزحمة ما هو ملموس لكي يتجاوز أفق الدهشة. واتخذت الأسطورة وجهاً ثالثاً إضافياً لدى كل من نجيب محفوظ وجمال الغيثاني بتوصية كل منهما قبل رحيله بأن يتم تشييع جثمانه من مسجد الحسين وسط أهله وأصدقائه قبل أية جنازة رسمية، لتكون حياة كل منهما، وكتاباته، ومماته، انغماساً في لحم الأرض الخصبة الأكثر استيعاباً للتجليات الرمضانية بمصر. تتخلل روايات كل منهما المشحونة بعبق القاهرة الإسلامية والمشاهد الرمضانية مؤشراً استثنائياً لتعاقد الجغرافيا والتاريخ، وامتداد حركة

وإلى جانب رسم الأجواء والعادات والتقاليد والاحتفالات المجتمعية في الأحياء الشعبية من خلال المسرحيات، الذي يتحدث في كل نص عن طائفة من الطوائف أو حرفة من الحرف، فإن ترميزات هذه الشخصية تقود كذلك إلى معاني اليقظة والتوقد والتمرد على السائد والعبور إلى الأفضل. وفي المسار ذاته مضى شاعر العامية صلاح جاهين (1930 - 1986)، فرضانياته الشعرية هي صورة مصغرة لهوية المجتمع المصري ككل، ذلك الكيان الفريد الذي يعتبر شهر الصيام دفقة حيوية وأنواراً عجائبية ملوثة مضاءة في الروح وفي الطرقات في أن.

### زخم الواقع والتاريخ

أما سر تميز السرد الروائي والقصصي والدراما التلفزيونية في التعاطي مع تفاصيل الرمضانيات القاهرية فهو النفس الملحمي المتعمق الساعي إلى المزج الواعي بين زخم الواقع الحي والرصيد التاريخي للأحياء

يحلّ رمضان مكانة خاصة في الثقافة الشعبية المصرية، فهو في المقام الأول شهر تعيدي إشراقي وتصوفي ومنظومة متشابكة من الطقوس والملاحم والعادات والممارسات والاحتفالات والتجليات والتفاصيل المتنوعة المسيطرة على البشر والأمكنة منذ سنوات بعيدة، خاصة في القاهرة التاريخية التي تنفرد بالوجوه الرمضانية البارزة منذ أكثر من ألف عام. ولأن الآداب والفنون المتعددة مرآيا التعبير عن الواقع النابض وحركة الحياة المتدفقة فقد استوعبت هذه المظاهر التي بقيت محفورة في الوجدان.

تمثل أدبيات الإنشاء والتواشيع والإنكار الرصينة، خصوصاً المقترنة بقصائد فصيحة من عيون الشعر العربي، عنواناً عريضاً للمشاعر الإيمانية وعموميات الأجواء التصوفية لتمدن الحالة عن المعنى العميق للابتهاال، وهو التضرع إلى الله المصحوب بالخشوع والتوازي، راحت آداب وفنون أخرى تنسج رمضان الناس والحياة والتفاصيل والآلوان والممارسات اليومية، وغاصت في الضمير الشعبي المصري، وتقصت جذور المفاهيم والظواهر والسلوكيات الكائنة على أرض الواقع، وكان للرواية وشعر العامية والدراما باع طويل في هذا المضمار، فحضرت الشخصيات التي ينتظرها المواطنون من العام إلى العام.

وقد وجدت الآداب والفنون في هذه المعالم الروحية والاجتماعية وجبة ثرية لتصويرها بكاميرا أمينة للوصول إلى مقومات الشخصية المصرية.

### رمضان والإبداع

يشكل الابتهاال والإنشاء الديني وحلقات الذكر ملمحاً مصرياً أصيلاً في شهر رمضان الذي اقترن بتواشيع ما قبل الفجر والإبطار في الحسين والأزهر والجوامع التاريخية المعروفة.

تعد تجربة فؤاد حداد في قصائد ديوانه "المسحراتي" النموذج الأبرز، حيث احتوى الفضاء الرمضاني لديه التمايزات وإسقاطات مكثته من قصصي مناحي الحياة المختلفة، والتطرق إلى أمور دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية، ليس فقط على نحو رصد، وإنما بحس تحليلي انتقادي نافذ.

عبر البوابة الرمضانية وأيقونتها الفريدة "شخصية المسحراتي"، اقتنص حداد (1928 - 1985) معطيات الشخصية المصرية ومفاتيحها، سابراً أغوارها ومكتشفاً أسرارها، ومميزاً عن همومها واهتماماتها ومعاناتها مع الحكومات والأظلمة عبر العصور من خلال شعرية فياضة متدفقة، تنتصر لجماليتها المجردة في المقام الأول، إلى جانب اصطباغها بالطبيعة الملحمية، والنزعة الدرامية الكائنة.

### حياة أهل القاهرة في رمضان

أكثر التصاقاً بسرديات محفوظ والغيثاني ودراما عكاشة ومسحراتي حداد وأشعار جاهين

ارتبطت الأدبية والأثرية والشعرية والمناجاة الإلهية بفصول الشعراء والمتصوفة، وأسماء منشدین عمالقة سكنوا القلوب وأثروا الوجدان الجمعي، من أبرزهم سيد النقشبندي ونصرالدين طوبار وطه الفشنى ومحمد الكلاوي وغيرهم من الأجيال اللاحقة، وصولاً إلى المنشدین الجدد الذين يعملون على إحياء التراث الثقافي والديني، مثل الشيخ إيهاب يونس والشاب وأثل الفشنى وآخرين.

# حصون الباحة شواهد خالدة على حضارة عربية فريدة في السعودية

وجمال نوافذها وأبوابها، وتعد قرية ذي عين أبرزها بالإضافة إلى الخلف والخليف التاريخية وقرية المد وقرية بني سار الأثرية والتي يوجد بها أحد أهم المعالم وهو قصر بن رقوقش التاريخي، وكذلك قرية الأطاوله.

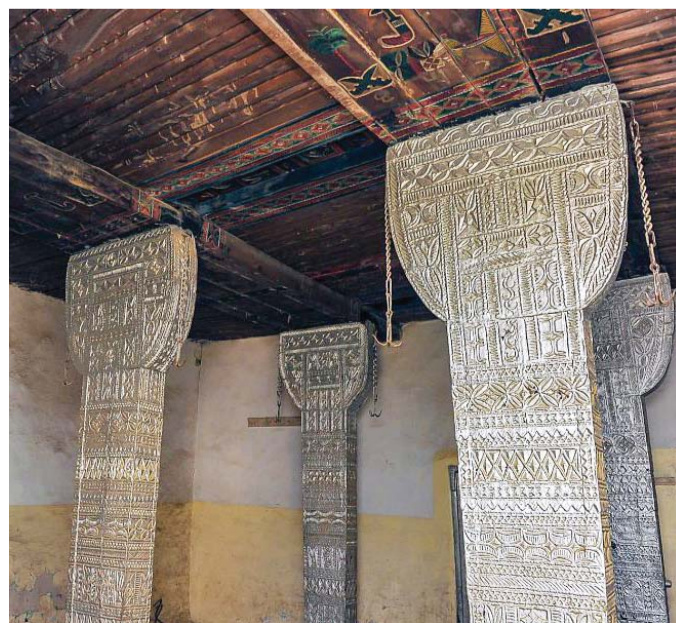
بناء الإنسان في منطقة الباحة أحد أهم الشواهد على الحضارة العمرانية التي تعكس الثقافة العربية والتراث الشعبي

ولعل أهم ما يميز هذه القرى التراثية إبداع المعمار في بنائها من الحجر، فجردان المباني في المنطقة من الأحجار المحلية الصلبة، والتي يصل سمكها إلى المتر وقد يزيد حسب ارتفاع المبنى. وهناك تقنيات مختلفة تستخدم لرص المداميك بحسب أحجام الحجارة والأوانها في بعض الأحيان، كما أن الأعمدة الخشبية الرافعة والمرزح وهو غني بالزخارف والنقوش المنحوتة في الخشب يبرز دورها في حمل الأسقف بجانب الحوائط في حال وجود فراغ كبير مثل المجالس والمساجد وكذلك في بعض الشرفات والمظلات.

على شكل مربع، ويكون متسعاً عند قاعدته ويأخذ في التناقص كلما ارتفع، ففي قمة الحصن هناك بروز يكون ممثلاً للقاعدة عادة، ويُرصن بالحجارة المرو، وعادة تأخذ الشكل المثلث، وفي أعلى الحصن تكون هناك فتحات صغيرة للمراقبة فترة الحروب. وتتكون هذه الحصون من 3 إلى 4 طوابق، وبها مدخل رئيس وسلام داخلية من الحجارة مثبتة في الحوائط لكي يصعد منها إلى أعلى الحصن، وقلة من الحصون أخذت الشكل الأسطواني، ومن أشهر حصون الباحة حصن الأخوين بقرية المد، وحصن قرية حزنة ببني كبير، وحصن خيبر في دوس، وحصن قصر العيننة في الأطاوله، وغيرها من الحصون المنتشرة في المنطقة، وتم تصنيف هذه الحصون إلى ثلاثة مجموعات طبقاً لما تقوم به من أدوار، فمنها الحصون الإستراتيجية، وتكون في وسط القرية وبارتفاعات عالية، وحصون المراقبة وتكون على أطراف القرى وذات ارتفاع يصل إلى 10 أمتار، وحصون المحاصيل الزراعية وتكون صغيرة نوعاً ما وبارتفاع 3 أمتار.

ويتم تحديد ارتفاع هذه الحصون بناء على مواقعها فما كان في السهل منها يبلغ ارتفاعه 20 متراً وما كان في الجبل فحوالي 10 أمتار، وبعض هذه الحصون يعود بناؤها إلى ما قبل 600 سنة تقريبا، وتبنى هذه الحصون باستخدام الحجارة "مداميك" ويكون المسقط الأفقي للحصون عادة في منطقة الباحة

أحمد حنش إن بناء الإنسان في منطقة الباحة يعد أحد أهم الشواهد على الحضارة العمرانية التي تعكس التطور الحاصل عبر الزمان لهذا المكان، فعمارة الباحة التقليدية وتراثها العمراني إبدان من أهم المرتكبات والمزايا الشعبية التي تتميز بها المنطقة، حيث تزخر بالعديد من الآثار التاريخية سواء في قطاع السراة أو نهامة والتي تحظن باهتمام الدولة لتطوير السياحة بالباحة وجعلها مقصداً صيفياً بالإضافة إلى تنمية السياحة الشتوية. وأشار إلى أن النسيج العمراني في قرى الباحة قديماً متراص بسبب طبيعة المواد المستخدمة للبناء، وتوفير مساحة أكبر من الأراضي للزراعة ولتعزير النواحي الأمنية في القرى، فالمباني متلاصقة والشوارع ضيقة مع وجود ساحة في منتصف هذه المساكن لتؤدي العديد من الوظائف الاجتماعية والمعيشية، أما بالنسبة إلى المباني فهي عالية وقليلة الفتحات واستخدمت الكتل الحجرية المحلية والمنقاة بعناية لتشييد المباني، كما استخدمت الأشجار المحلية كالعرعر والسدر والطلح والزيتون البري في الأسقف والأعمدة الخشبية والأبواب، وهناك ثلاثة عناصر رئيسية تشار إليها عند الحديث عن التراث المعماري في المنطقة وهي الحصون، والمساجد، والمسكن، حيث هناك أكثر من 4000



أبنية تحفي ثقافة وتراثاً عربيين